خصائص وشروط و محركات السلوك الجمعي واطواره

شروط السلوك الجمعي

اختلف العلماء في تحديد السلوك الجمعي بسبب اختلاف الظروف الفردية والاجتماعية والانسانية لذلك السلوك؛ الا ان عالم الاجتماع الامريكي (نيل سملسر) حددها في كتابه (نظرية السلوك الجمعي) شرح فيها شروط السلوك الجمعي وحددها بستة شروط، وهي:

1 -التركيبة الاجتماعية المساعِدة: اي ان السلوك الجماعي لايحصل دون وجود عوامل مساعدة تساهم في انشاء ذلك السلوك. فالفوضى الاقتصادية التي حصلت في الثلاثينيات من هذا القرن في الولايات المتحدة وما صاحبها من خروج الافراد في تظاهرات عنف امام البنوك التجارية، لم تكن لتحصل لولا وجود سوق البورصة الذي يتعامل مع بيع وشراء الاسهم اولاً، ولولا وجود البنوك التي لا تملك النقد الكافي دائماً لسد الطلبات الاستثنائية الكبيرة، ثانياً. ومثال آخر هو ان الاضطرابات العنصرية في اوروبا الغربية ما كانت لتحصل لولا وجود عدد كبير من افراد الاقليات الملونة التي يعاملها المجتمع الابيض بشكل يغاير التعامل الانساني الطبيعي فيما يتعلق بالحقوق والواجبات.

2 -الضغط الاجتماعي: فالضغط الاجتماعي الذي تضعه السلطة السياسية او القضائية على الافراد كالفقر، والتمييز العنصري، والقلق من المستقبل الاقتصادي ونحوها ينتج جهدا جماعياً للتعامل مع تلك المشكلة. فمظاهرات الجياع وقت ارتفاع اسعار المواد الغذائية وانعدام العدالة الاجتماعية، واعمال الشغب في السجون، ومظاهرات التخريب، والنهب الجماعي، كلها امثلة يكون سببها . في الاصل .الوضع الاجتماعي المتأزم الذي يؤدي الى انشاء ذلك السلوك الجمعي.

3 -الاعتقاد العام بمنشأ المشكلة الاجتماعية: وهو اشتراك الافراد بتعريف تلك المشكلة الاجتماعية، وتشكيل رأي عام حولها، ثم محاولة ايجاد عمل مشترك للتعامل معها. فالمواطنون السود في الولايات المتحدة يعرفون ان مشكلتهم الاساسية في الحياة الاجتماعية هي التمييز العنصري الذي يميزهم في العمل والخدمات وينغّص عليهم سعادتهم الاجتماعية. وما اعمال العنف التي يقومون بها ضمن السلوك الجمعي الا نتيجة طبيعية لذلك الاعتقاد العام بالظلم الاجتماعي. والمسلمون الواعون مثلاً في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي يعلمون ان اصل مشاكلهم الاجتماعية ومنشأ الظلم الذي أُلحق بهم نابع من سيطرة الدول النصرانية الكبرى على مقدرات امورهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

4 -العوامل المترسبة: فالسلوك الجمعي لايحصل بمجرد تجمع مجموعة من الافراد في شارع ما مثلا، او تجمع افراد في مقهى عام، بل لابد ان يكون هناك برميل زيت ينتظر تلك الشرارة. فاعمال العنف التي حصلت في المجتمعات الصناعية الاوروبية وبالخصوص في احيائها الفقيرة كان منشأها العوامل المترسبة من الكراهية بين النظام الاجتماعي وما يمثله من رجال شرطة وبين الافراد الفقراء الذين يعيشون في تلك المناطق. والاعمال العنصرية في جنوب افريقيا ، ولحد قريب كان منشأها العوامل المترسبة من اثر التمييز بين الاجناس البشرية على اساس لون البشرة والاصل العرقي. واعمال الشغب في الهند مصدرها العوامل المترسبة من آثار التمييز الديني بين الافراد.

5 -القيادة المحرّكة: فاذا برزت القيادة التي تحرّك الافراد، فان السلوك الجمعي بشروطه سيصبح اقوى احتمالاً واكثر حظاً في اصابة الهدف.

6 - فشل الضبط الاجتماعي: اذا كان الجهاز الامني يستطيع السيطرة على انفعال الافراد وغضبهم، فان ذلك الجهاز يستطيع التقليل من احتمالات تكوين السلوك الجمعي والتأثيرات الاجتماعية الناتجة عنه. اما اذا حصل العكس، وعجز الجهاز الامني عن السيطرة على اندفاع الافراد نحو السلوك الجماعي، اصبح تحقيق اهداف ذلك السلوك امراً حتمياً.

هذه الشروط تقدّم اطاراً نافعاً لفهم السلوك الجمعي، الا انها لاتستطيع تحليله خارج اطار الاحداث الاجتماعية التي تصنع مفردات ذلك التجمع والاحداث الملحقة به.

وقبل ذكر خصائص ومحركات السلوك الجمعي واطواره يجب التنويه الى أن هنالك عمليات نفسية تتحكم بسلوك الفرد حين يكون بين الجموع ويجب أن تكون حاضرة، منها:

أ. تقبّل الأيحاء

في هذه الحالة تسارع الجموع الى التصرف على وفق ما يوحى اليها به،وتتراجع الشخصية الواعية ليتولى "اللاوعي الجمعي" توجيه سلوكها.ومع ان معظم علماء النفس المعاصرين لا يتفقون مع هذا الرأي ،الا أن فرويد يرى أن وجودنا في جمع من الناس يسمح لأنماط السلوك المكبوتة الأنطلاق من عقالها.ويضيف بأننا نخضع للقوى المسيطرة سواء تجسدت في السلطات او في الجماعات نتيجة لعلاقات السيطرة التي عشناها مع آبائنا والتي طورت لدينا الحاجة الى الخضوع.ولقد ثبت ذلك في العراق عمليا بعد 2003?يوم خلق اشاعات خبيثة تثير القلق والتوتر لدى جماهير مشحونة انفعاليا بنزعات وافكار مستقرة في لاوعيهم الجمعي.

ب.العدوى الاجتماعيةSocial Contagion

العدوى الاجتماعية هي طريقة انتقال لا تعتمد على نية مباشرة للتأثير، وتنطوي على التقليد التلقائي للآخرين، بدلاً من أن تكون مبنية على قرارات واعية.

تعني العدوى الاجتماعية عملية نفسية يؤثر فيها الأفراد على بعضهم البعض اثناء وجودهم في الجماعة فتتصاعد حدة الانفعالات كما تتصاعد سرعة الاستجابات .فعندما تستثار الجموع فأنها تحتاج لأن تفرّغ انفعالاتها الجياشة فتندفع نحو السلوك الذي يوحى اليها به حين يكون ذلك الاتجاه متسقا مع دوافعها..والشواهد تأتيك من تصرفات مختلف مكونات المجتمع الواحد.

ثمة قسمان عريضان للعدوى الاجتماعية هما: العدوى السلوكية والعدوى العاطفية.

اما الدكتور بول مارسدن إن العدوى السلوكية يمكن تقسيمها إلى ست فئات فرعية:

- العدوى الهستيرية.
- عدوى إيذاء النفس المتعمد.
- عدوى العدوان.
- عدوى انتهاك القواعد.
- عدوى سلوك المستهلك.
- العدوى المالية

.2نظرية التقارب:

اي ان سلوك الجموع ينشأ عن تجمع عدد من الناس يتشابهون في حاجاتهم ونزعاتهم وأهدافهم،ومن مظاهرها (العدوى الانفعالية المنظبطة)..تكون ذات فائدة اجتماعية عندما تتوجه وجهات بناءة كما يحدث في مباريات كرة القدم حيث تؤدي العدوى الانفعالية الى تفريغ التوتر فيشارك الجميع في الهتاف والتصفيق..لكنها كارثة حين تتوزع الجماهير على هويات فرعية وتتقاتل فيما بينها كما حصل في لبنان والعراق.

.3معايير الموقف.

ترى هذه النظرية انه بالرغم من اختلاف جموع الشغب في اهدافها الا انها تخرج الى حيز الوجود نتيجة لأحساس جماعة ما بالظلم واتفاقها على ادراك الواقع على هذا النحو،فينبثق عن هذه العدوى الاجتماعية معايير من الموقف الذي تكون فيه تبرر القيام بعمل مشترك تضع حدودا لسلوك الجموع المشاركة..بمعنى أن معاناة جماعة او طائفة معينة وادراكها للظلم الواقع عليها،والحماس الذي يتأجج بفعل عمليات العدوى الاجتماعية تقود الى نشوء معايير تبرر سلوك الجمع وتحدد مساره.

اما خصائص ومحركات السلوك الجمعي واطواره

محركات السلوك الجمعي تحدث عندما يعاني الناس من حالة الأضراب والقلق الاجتماعي يؤدي الى ظهور محركات جمعية بصورة تلقائية وطبيعية، للتمهيد للقيام بعمل جمعي من خلال الضروب البدائية من التفاعلات **السلوك التلقائي والكتلة والعموم** وهي

الطحن والدوران

الهياج الجمعي

العدوى الاجتماعية

1- الطحن والدوران- السلوك التلقائي

هي الطريقة الأولية والمرحلة الطبيعية التي تحفز الناس وتهيئهم لإن يعملوا مع بعضهم البعض، ويتأزروا بصورة تلقائية.
وتعد المقدمة التي تمهد لتكون وتبلور الضروب المختلفة من السلوك الجمعي، من خلال وجود حافز مشترك يساعد على التبلور والظهور.
وتعبر عنها بشكل رد فعل دائري نتيجة تحركهم بصورة عشوائية لاقصدية، بشكل يشبه حركة القطيع، بالأقتراب من بعضهم البعض والشعور بنفس شعور الهلع من مصدر يشكل خطرا ولامدادهم بالقوة ، ومن خلال عملية الطحن والدوران يصبح الأفراد **أكثر حساسية لبعضهم البعض، وأكثر استعداداً، وتناقص الاهتمام بالتنبيه للأشياء العادية ،** وهذه تحدث من خلال عملية الوفاق أو الانسجام.

2- الهياج الجمعي- الكتلة

يتم في هذه المرحلة توجيه المشتركين فيه لإبتداع ضروب جديدة من الترابط للتهيئ لنشوء ضروب جديدة من السلوك الجمعي، وفي هذه المرحلة يفقد الناس قابليتهم على ضبط سلوكهم .

ولهذه المرحلة صفات هي

أ- **قابلية الجذب** – حيث تكون لهذه المرحلة قوة جذب وتركز انتباه المشاهدين له، أذ يصبح من الصعب على المشاهد أن يتجاهل أو يغفل عن هذا الهيجان، لان الميل الطبيعي في الناس يدفعهم نحو الاهتمام والانغماس فيه كونهم يفقدون قابليتهم على ضبط سلوكهم العادي.

ب- **المثابرة العاطفية والانفعالية الجمعية**- يصبح حوافز ومشاعر تابعة للحشد تتصرف بهم كيفما شاءت، ويتصف سلوكهم بعدم الاتزان وانعدام الرؤية وتحكم العقل الفردي بسبب انهيار شخصيات الافراد المشتركين وتتكون نتيجة لذلك ضروب جديدة من السلوك الجمعي، وهي فرصة للتنفيس عن التوترات والانفعالات النفسية قد ينتهون إلى تنظيم عواطفهم وعاداتهم وخصائصهم الشخصية تنظيما جديدا.

3- العدوى الاجتماعية- العموم

تكون هذه المرحلة تصاعدية هي الاقوى حيث يتسم ينتظم السلوك ضمن الهياج الجمعي من خلال نمو الوفاق الاجتماعي- (اتفاق - انسجام)، التي تكون شخصية الإنسان، في حالة من التعاون والتوافق الاجتماعي مع الجمع، من خلال زيادة حساسية الأفراد حيث ينتظمون في تيارها ومتأثرين بها ، نتيجة **ضعف المقاومة الفردية ، وانعدام الشعور بالذات وعدم القدرة على تفسير فاعليته قدرته ، وعدم قدرته على تفسير سلوك الآخرين لأنطماس قوة تحكيم العقل فيه وغلبة الانفعالات والحوافز الفطرية والحماس والهياج عليه، كما تكون فرصة للتنفيس عن النفس** لذا ينتشر كأنتشار النار في الهشيم.